الخصائص الفنية للغة التواصل التحسيسية من خطر كوفيد 19

– منصات التواصل الاجتماعية أنموذجا –

The aesthetic characteristics of the langage of communication sensitized to the risk of covid19 – social medea platforms as a model -

حميدي بن شارف

جامعة وهران –01– أحمد بن بلة (الجزائر) البريد الإلكتروني: hamidibencharef@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/10/10 تاريخ القبول: 2020/12/05 تاريخ النشر: 2021/03/01

الملخص :

لقد كانت عبقرية الانسان ولا زالت تتجلى دائما من خلال تلك القدرة الفائقة على توظيف المتاحات المعرفية لتجاوز أعقد الأزمات التي مر بها عبر تعاقب القرون ، وتقلب الظروف بتجلياتها وتحدياتها الطبيعية ، وظواهرها البيئية والوبائية التي حاول فك شفرتها والتغلب عليها ، أو التقليل من آثارها والسيطرة عليها قبل استفحالها في أقل تقدير.

ولا شك أن في ظهور وباء الفيروس التاجي كوفيد 19 ، وما فرضه من أنماط معيشية وطرائق في التواصل الخطابي قد عزز كثيرا من توجه فئات واسعة من المجتمع لبدائل ووسائط للتواصل عبر المنصات الاجتماعية حيث أصبح من المتاح تكييف الحاجات الانسانية الفطرية في التواصل المباشر مع المحيط الاجتماعي من خلال توظيف مختلف الآليات التي تتيحها تلك المنصات سواء عبر المناشير، أو التواصل المرئي ، أو الدردشات الكتابية وغيرها من أشكال التواصل الالكتروني الحديث، بالإضافة إلى أنّ هذه الآليات التواصلية البديلة غدت منبرا بارزا، وفي غاية الفعالية، للتنبيه على المخاطر الصحية لجائحة كورونا على الصحة العمومية، لأجل هذا حاول كثير من رواد هذه الأنماط التواصلية الحديثة شحذ لغة التواصل تلك بمجموعة من الآليات الفنية التي بإمكانها التأثير في جمهور المتلقين ، وتوجيه الفئات الاجتماعية لتجنب الممارسات الخطيرة التي فاقمت من انتشار الوباء ، وبالتالي سقوط أعداد متزايدة من الضحايا ؛ من هنا جاءت هذه الدراسة كمحاولة للغوص في تشريح ماهية العناصر الفنية المشكلة للغة مختلف أنماط التواصل الاجتماعية بأبعادها المتداخلة مع النظم السيميولوجية الأخرى حيث يمتزج التعبير الفصيح

بالتعبير الدارج، والرسوم الكاريكاتورية بروح الفكاهة المعبرة عن مرارة الواقع ، والمنشور الجاد برمزية اللون، وضجيج حركة الصورة المرئية بسميائية الصورة الفتوغرافية الساكنة.

الكلمات المفتاحية: الخصائص الفنية؛ كوفيد 19؛ لغة التواصل؛ التأثير؛ التعبير الفصيح؛ التعبير الدارج.

ABSTRACT :

The genius of man has always been and still is manifested through that extaordinary ability to employ the knowledge available to overcome the most complex crises that has gone through the succession of centuries and the volatility of circumstances with its manifestations, natural challenges and environmental and epidemiological phenomena which he tried to decipher and overcome, or reduce their effects and control them before their exacerbation in underestimate.

There is no doubt that the emergence of the Covid19 epidemic and the imposed living patterns and methods of rhetorical communication have greatly enhanced the orientation of large groups of society to alternatives and mediums for communication through social platforms, as it became available to adapt the innate human needs in direct contact with social environment through the employment of various the mechanisms provided by these communicators, whether through publications, videos communication, written chats, and other forms of modern electronic communication, in addition to the fact that these alternative communication mechanisms have become a prominent and highly effective platform for alerting the health risks of the corona pandemic to public health; for this reason many of the pioneers of this modern communication with a set of aesthetic mechanisms that can influence the audience of recipients and direct social groups to avoid the dangerous practices that exacerbated the spread of the epidemic and consequently the fall of an increasing number of victims.

Hence, this study came as an attempt to delve into the anatomy of the aesthetic elements that make up the language of the various types of social communication with its dimensions overlapping with other semiological systems, where the eloquent expression blends with the vernacular expression and the caricatures with the spirit of humor expressing the bitterness of reality, the publication serious with the symbolism of color, and the noise of the visual image movement with the semioticism of the

photographic image static.

Keywords: *Aesthetics properties ; Covid19 ; The language of communication ; The influence ; Eloquent expression ; Slang expression*

مقدمة :

يبدو أنّ الحديث عن عالم افتراضي مواز لعالم واقعي عند الحديث عن فضاءات التواصل الاجتماعية قد أصبح من قبيل المفاهيم التي تجاوزها الزمن، وإلاّ كيف يمكن تفسير تشعب مسالك هذه الوسائط، وتعاظم تأثيرها في توجيه دفة سير المجتمعات؛ وإعادة صياغة نظمها الاجتماعية والثقافية والاقتصادية.

إنّه عالم يطوّر أدواته التواصلية بسرعة فائقة متجاوزا عقبات تباين اللّغات ، وتنوّع الحضارات والثقافات من خلال شبكة في غاية التعقيد من المواضعات الأبجدية والأيقونية المتقاطعة مع مجموعة كبيرة من النّظم السيميولوجية الأخرى.

ولقد ازداد تعاظم الأدوار المحورية لوظائف الاتّصال عبر الوسائط التكنولوجية الحديثة مع ظهور وباء كورونا الذي فرض الحجر المنزلي على غالبية سكان المعمورة، وغيّر كثيرا من أنماط حياتهم ، كما أنّ ظهور هذا الوباء في الوقت ذاته هو أول تحدّ وبائي عالمي في ظل عصر الانترنت ، والتنامي الرهيب لمساحات التواصل عبر الوسائط الاجتماعية الحديثة ، إلاّ أنّ تعامل هذه الوسائط مع مخاطر هذه الجائحة لم يكن بتلك المثالية المرجوة، فقد غزت الإشاعات، والأخبار المزيفة تلك المنصات مما فرض على الشركات المالكة لهذه المنابر بالتنسيق مع منظمة الصحة العالمية حجب كثير من تلك الأخبار غير العلمية التي تعرض حياة الملايين من البشر لأخطار محققة ، أو من خلال توجيه رواد تلك المنصات إلى المواقع الرسمية من خلال وضع تحديثات متواصلة في واجهة حساباتهم وصفحاتهم على نحو ما قامت به شركات فايسبوك ، تويتر ، يوتوب وغيرها.

وقد ترافق هذا الجهد الرسمي مع جهود كثير من رواد هذه الفضاءات الاتصالية في عملية التحسيس ونشر الوعي بين مختلف الفئات الاجتماعية حول خطورة هذه الجائحة من خلال ابتداع طرائق اتصالية في غاية الجاذبية والتنوع حيث تمتزج اللغة بمستوياتها المتفاوتة مع الأنماط التعبيرية الأخرى على شاكلة مقاطع الفيديو ، المؤثرات الصوتية ، الصور ، الرسومات الكاريكاتورية ، الأيقونات والرموز البصرية وغيرها من

نظم وأشكال التواصل السيميولوجية حيث أصبح من العسير جدا فصل هذه الظواهر التواصلية عن بعضها البعض.

والملاحظ أنّ تلك المحاولات والأنشطة التحسيسية تتأسس على مقومات وآليات فنية في غاية التنوّع ممّا يضمن ويعزز من فاعلية التأثير في جمهور المتلقين، وهو أمر يمكن التحقق منه بشكل واسع و غير مسبوق من خلال تلك الصفحات التفاعلية حيث يظهر العدد المحدد لجمهور المتلقين وانطباعاتهم المتفاوتة عبر عملية إعادة التغريد كما هو الحال في تويتر من خلال الترينـدات ، أو مشاركة المنشور وتسجيل الإعجابات وتفعيل رموز الانفعالات النفسية الأخرى مثل ما هو موجود على اليوتوب أو في الصفحات الفايسبوكية ، من هنا يأتي السؤال المحوري عن ماهية هذه الخصائص والآليات الفنية للغة التواصل التحسيسية في مختلف المنابر الاجتماعية على صفحات النت؟ بالإضافة إلى محاولة دراسة المساحة التي تشغلها اللغة عموما، واللغة الفنية بالمقارنة مع النظم السيميولوجية الأخرى في الفضاءات التفاعلية لتلك الشبكات الاجتماعة .

01– اللغة وسيميولوجيا التواصل :

بعد مضي أكثر من قرن عن صدور الكتاب المؤسس للسانيات الحديثة " محاضرات في اللسانيات العامة " سنة (1916) لعالم اللغة السويسري فاردیناند دوسوسور ferdinand de saussure لازال النقاش غضا حول الأسس النظرية لشكل العلاقة بين النظم الدالة اللغوية وغير اللغوية، وخاصة من خلال التحديات الرقمية المعاصرة حيث تتمدّد الأفاق التواصلية بين النّاس وتزداد تعقيدا مع انفجار تلك المنظومات الهائلة من الرموز التي تنمو بشكل غير قابل للتوقّع والتحكّم ، الأمر الذي يحتم إعادة قراءة جادة لدور اللغة ضمن مجالها الأعم الذي ليس إلاّ السيميولوجيا ذاتها.

والسيميولوجيا (sémiologie) أو علم العلامات على الرغم من قدم مباحثه التي ترجع إلى الدرس الفلسفي اليوناني إلا أنه لم يتبلور بشكله الحديث إلاّ من خلال تلك التنظيرات المتزامنة كرونولوجيا المتباعدة مكانيا لعلمين بارزين من أعلام الدراسات اللسانية لم يثبت أنهما التقيا يوما : أما الأول فهو الأوربي دوسوسور الذي كان يرى أنّ السيميولوجيا هو العلم المختص بدراسة العلامات اللغوية وغير اللغوية ، ووظيفته دراسة حياة العلامات في المنظومة الاجتماعية حيث قاده هذا التأطير التنظيري لمفهوم

السيميولوجيا لتحديد مجال انضوائها تحت مظلّة حقول معرفية أخرى على غرار علم النفس الاجتماعي، وعلم النفس العام. (look : de saussure : 1997 : 33).

كما اعتبر دوسوسور أنّ اللسانيات هي أهم فروع السيميولوجيا، حيث مجال البحث فيها متوجه حصرا لدراسة الدوال اللغوية ، فيما ذهب الفيلسوف والرياضي الأمريكي شارل ساندرس بيرس (Charles Sanders peirce) ، تحت تأثير المقولات الفلسفية لهيغل وكونت، إلى تصور أكثر رحابة لمفهوم السيميوطيقا (semiotic) بأبعاد شمولية تستوعب كل الموضوعات ، والظواهر ، والعلوم ، فعلم العلامات لا يجب أن يشذ عن نطاقه شيء، وهو " يتجاوز حدود اللسان مكتسبا عمومية يستطيع بواسطتها الغوص في كل أعماق الظواهر الكونية بطبيعتها المختلفة سواء كانت مادية أم ميتافيزيقية " [1] و هنا تغدو العلامات "كيانات رمزية مترابطة مع بعضها ، ومتوالدة متناسلة عن بعضها ."[2]

وقد حاول اللّساني الفرنسي رولان بارت فيما بعد استيعاب وتطوير الأسس التنظيرية المؤسسة للسيميولوجيا من خلال مفهوم سيميلوجيا الدّلالة الذي يرتكز حول مسلمة أنَّ كل الأنظمة : لغوية كانت أو غير لغوية ، صناعية أم طبيعية هي بالضرورة أنظمة دالة ، وبالتالي فلا مانع من إجراء المقاييس اللسانية على الأنساق غير اللغوية من أجل عملية البناء الدلالي ، وقد قاد هذا التصور (بارت) إلى مخالفة جوهرية لدوسوسور ، إذ إنّ السيميولوجيا عند (بارت) فرع عن اللسانيات وليس العكس ، وهكذا تغدو مجالات الدّراسة في هذا العلم أكثر انفتاحا على موضوعات جمالية متنوعة يحدّدها بارت في " النصوص التي ينتجها الخيال : إنّها الحكايات والصور ، والتعابير، واللّهجات ، والأهواء ، والبنيات التي تتمتع في ذات الوقت بمظهر الاحتمال وعدم يقين الحقيقة. من الممكن إذن أن أسمي سيميلوجيا مجرى العمليات الذي يمكن عن طريقه – بل نرجوا – الاستمتاع بالدليل كما لو كان لوحة فنية." (بارت : 1993 : 26)

ويشرح صلاح فضل القوام التنظيري لهذا الاتجاه من زاوية أنّ " أيّ نظام سيميولوجي لابد وأن تكون له علاقة باللّغة ، فالعناصر المرئية مثلا تقتضي رسالة لغوية كما يحدث في السينما والإعلانات والصور الكاريكاتورية وغيرها ، كما أنّ مجموعات الأشياء في الملبس والمأكل مثلا لا تصبح نظما إن لم تمر من خلال اللّغة التي تعزل دلالتها وتسميتها ، وبالرغم من أن الحضارة المعاصرة قد غرقت في بحر الصور المرئية – على حد تعبير بارت – فإنّها لم تتخل في أية لحظة عن الكتابة ، إذ يظلّ من الصّعب تصوّر أيّ نظام

مكون من الصّور أو الأشياء يتمتع بدلالة خارج نطاق اللّغة : فلا يوجد معنى ليس له اسم . وعالم الدّلالات ليس سوى عالم اللّغة." (فضل 2007 : 631).

من جانب آخر فإنّ هذه النّظم السيميولوجية لا معنى لها ، و لا يمكنها أن تنتعش –دلاليا– إلاّ في رحاب المعاملات التداولية، حيث تمارس آثارها التعبيرية ضمن سلسلة اتصالية ، فقد كان لا بد أن يظهر مفهوم آخر لعلم العلامات، وهو ما يعرف بسيميولوجيا التواصل ، إذ إنّ الوظيفة الأساسية للعلامة كما يحددها الايطالي (أمبرتو إيكو) هي : " نقل معلومات ، ومن أجل قول شيء ما ، أو الإشارة إلى شيء ما يعرفه شخص ما يريد أن يشاطره الآخر هذه المعرفة . إنّها بذلك جزء من سيرورة تواصلية ." (إيكو 2010 : 47).

و من أبرز التنظيرات العلمية لسيميولوجية التواصل تلك الجهود البارزة التي قادها اللساني الروسي رومان جاكوبسون (R. jakobson) ، إذ يرى هذا الأخير أنّ التواصل اللّغوي لا يكون إلاّ من خلال العناصر التالية : المتكلّم ، السّامع ، الرّسالة ، قناة الاتّصال ، الشّفرة ، السّياق : " فالمتكلّم يبعث رسالة إلى السّامع ، ولكي تكون ممارسة فعّالة فإنّ هذه الرسالة تقتضي سياقا تتصل به وتندرج فيه ، كما تقتضي كذلك شفرة تشير إليها وتحدّد رموزها ، كي يستطيع السّامع عند التقاطها أن يعي مضمونها طبقا لتلك الشّفرة المشتركة بينه وبين المتكلّم اشتراكا كلّيا أو جزئيا على الأقل ، ثم لابد في نهاية الأمر من التماس ؛ أي قناة الاتصال والارتباط بين المتكلّم والسّامع بما يسمح لهما بممارسة عملية الاتّصال." (فضل : 2007: ج01 : 147)

وانطلاقا من هذا التحليل لعناصر دائرة الاتصال البشري توصل جاكوبسون إلى تحديد مختلف الوظائف المرتبطة بكلّ عنصر من العناصر السّابقة ، ومن أمثلة هذه الوظائف : الوظيفة الانفعالية (المتكلم) ، الوظيفة الشعرية (الرسالة) ، الوظيفة الانتباهية (قناة الاتصال) ، الوظيفة الإفهامية (المستمع) ، الوظيفة المرجعية (السياق) ، وظيفة ما وراء اللغة (الشفرة). (ينظر : جيرو : 1994 : 99)

ويشير (جيرو) إلى أنّ مفهوم الشعرية الذي شكل جزءا مهما من أبحاث جاكوبسون اللسانية يقع على التماس من الدائرة السيميولوجية الأوسع " فينص على أنّ كثيرا من الملامح الشعرية لا تكون فحسب جزءا من علم اللّغة ، بل تدخل أيضا في نظرية العلامات ؛ أي في السيميولوجية العامة ، وهذا ينطبق على الفن

اللّغوي بمقدار ما ينطبق على جميع المظاهر الأخرى للغة ويجعلها تشارك في كثير من خواص النظم السيميولوجية." (1994 : 146)

وبصفة عامة تتعدّد سيميلوجيا التواصل بتعدّد الأشكال الفنية ، مع ما يستتبع ذلك من اختلافات في الآليات الجمالية التي يقوم عليها كلّ شكل من تلك الأشكال، " فللشّعر وسائله وقضاياه وأدواته ، وللقصّة معاييرها وقضاياها ، وللخطبة تقنياتها وتفاعلاتها مع الآخرين في مقام يستحضر عناصرها الخاصة ، ونفس الشيء بالنسبة للمقالة الصحفية أو الخطاب الإشهاري أو الخطاب السياسي الذي ينبني على الحجاج باعتباره جنسا من أجناس التواصل يتميز بطبيعة المبادئ التي تحكمه والبنيات التي تحدد القضايا التداولية التي تعطيه هويته كقيمة تواصلية اجتماعية . ومن بين أنواع الخطاب الحجاجي نجد الخطاب العفوي (الشفوي) والخطاب المكتوب ذا اللغة المراقبة ." (عشير : 2006 : 60).

وإجمالا يمكن تلخيص العلاقة بين مختلف الاتجاهات السيميولوجية الثلاثة التي سبقت الإشارة إليها من خلال هذا التوصيف الدقيق الذي يطرحه عالم اللسانيات (بيربيتو) حيث اعتبر أنّ " اللّسانيات وسيميولوجيا التواصل وسيميولوجيا الدّلالة ثلاثة علوم يتداخل موضوع كلّ واحد منها مع الآخر بصورة متتابعة ، تدرس سيميولوجيا التواصل كلّ الظواهر التي تدرسها اللّسانيات أي العلامات اللّغوية مع إضافة العلامات غير اللّغوية. وتدرس سيميولوجيا الدّلالة كل الظواهر التي تدرسها سيميولوجيا التواصل أي الإشارات مع إضافة المؤشرات العرقية التي ليست لها صفة الإشارات." (بويسنس : 2017 : 12).

02– الفوارق الفنية بين لغة الاتصال العادية ولغة التواصل في المنصات الاجتماعية :

يبدو أنّه قد أصبح من نافلة القول التأكيد على خصوصية عملية التواصل اللّغوي عبر منابر الشّبكات الاجتماعية بالمقارنة مع تلك التي نجدها في الحياة الاجتماعية الطبيعية ، ولعلّ أهمّ هذه الفروق أنّ تلك العملية التواصلية تجري من خلال وسائط تكنولوجية حيث لا وجود لوظيفة التماس الحسّي الفزيائي بين المتكلم والمتلقي، تماما مثلما نراه في مختلف أشكال التواصل الأخرى كالكتاب ، والصورة الإشهارية ، والبث التلفزيوني والإذاعي وغيرها من الآليات الصناعية للتواصل البشري ، إلاّ أنّ هذه المنصات الاجتماعية هي الأقرب إلى محاكاة نظم التواصل الطبيعية حيث تدمج مختلف العناصر الفنية المتوزعة في

أنماط التواصل الصناعية الأخرى، وهكذا نرى الصورة ، والصوت، واللغة (مكتوبة و شفوية) ، والانفعالات ، والحوار الحي المباشر وغيرها من الأشكال التواصلية .

وعلى الرغم من كلّ هذا التوفيق في محاكاة قواعد لغة التواصل الطبيعية لا زالت هناك فوارق كبيرة جدا تحفظ لكلّ واحد من النموذجين السابقين أدواته الخاصة في ربط جسور التواصل بين أفراد المجتمع ، فعلى سبيل التوضيح نحن نعرف أنّ من شروط بلاغة الخطبة في منابر التواصل الطبيعية ، فصاحة المتكلم وسلاسة أسلوبه ، وخلوه من عيوب النطق ، وحسن مظهره الشكلي العام ، بالإضافة إلى سعة ثقافته وغيرها من الشروط الضرورية لضمان فاعلية أكبر لهذا الخطاب ، فإذا افترضنا قيام أحد رواد هذه الشبكات الاجتماعية بتنزيل فيديو على اليوتوب أو الفايسبوك يتوجه فيه بخطاب مسجل يشرح موضوعا ما فبإمكانه أن يستعيض عن بعض من هنات التواصل الطبيعية والعيوب البلاغية من خلال توظيف كثير من الآليات التقنية ، فاللغة عبر هذه الوسائط ليست هي المحور المركزي الوحيد في عملية التواصل ، ولكنّها عنصر يتقاطع مع مجموعة كبيرة من العناصر التأثيرية الأخرى كحيل الفوتوشوب (برامج تعديل الصور)، والمؤثرات الموسيقية ، وبراعة التركيب ، ورسومات (الغرافيك) وتقنيات التحكم في الصوت ودرجة نقاوته ووضوحه ، ونفس الأمر بالنسبة إلى جودة الصورة ، بالإضافة إلى جمالية الديكور ، ورمزية الألوان وغيرها ، فهذه الآليات التواصلية رغم أنها لا تلغي تماما العناصر الفنية للغة الخطاب البليغ الطبيعية على هذه الوسائط إلا أنها عوامل فارقة في عملية نجاح هذا التواصل ، ولنتصور معا ردّة فعل المتلقي وهو يتابع إحدى مقاطع الفيديو حيث تبدو الأصوات والصور نشازا أو غير واضحة، أو في حالة ملاحظة عدم وجود تناسق في الديكور أو الألوان ، فلا شكّ أنّ مصير هذه المقاطع وأمثالها الفشل الذريع ، حتى ولو كان أصحابها على درجة كبيرة من براعة الأسلوب ، وسعة الثقافة وغيرها من مقومات عناصر الخطابة الناجحة.

هذا إذا أضفنا إلى ذلك مسألة في غاية الأهمية عند مقارنة قوة تأثير الملفوظ اللّغوي بالمقارنة مع الصّورة ، فإنّنا نجد هذه الأخيرة أكثر انطباعا في ذاكرة المتلقي من الملفوظات اللّسانية ، وتفسير ذلك بحسب سعيد بنكراد في معرض تحليله للصّورة الإشهارية أنّ : " للّفظ ذاكرة هشّة ، والمستهلك عادة لا يجهد نفسه في تذكّر ما لا يشكل عنده أهمية قصوى ، في حين تقدم لنا الصّورة نموذجا آخر للتواصل ، فعبرها لا يحتاج المشاهد (الرائي) إلى معرفة أخرى غير ما تقدمه الصورة ذاتها . فبإمكان أي كان أن يتعرف على المميّز

وتحديد إحالاته – المباشرة منها على الأقل– دون حاجة إلى معرفة خاصّة بالكتابة والقراءة." (بنكراد : 2006 : 154).

وبالتالي فإنّه يمكننا أن نخلص إلى أنّ فنيّات التواصل اللّغوي المؤثّر في وسائط التواصل الاجتماعية مختلفة عن تلك الموجودة في الحياة الطبيعية بامتزاجها مع مجموعة كبيرة من النّظم السيميولوجية الصناعية حيث تبتعد الخطابات أكثر عن عفويتها وبساطتها إلى مستويات أكثر تنوعا و تعقيدا .

03 – الخصائص الفنية للّغة التحسيسية من مخاطر كورونا عبر المنصات الاجتماعية :

03–01 الانزياح :

والانزياح كما نعرفه في الدّراسات اللغوية الأسلوبية عملية خلخلة للأبنية الجاهزة المعيارية للّغةِ ممّا يشكّل مفارقة تنأى باللّغة عن بعدها التقريري إلى أبعاد إيحائية أكثر انفتاحا ، وتشمل هذه الانزياحات كلّ المستويات اللّغوية : الصّوتية ، والتّركيبية ، والدّلالية ؛ وليس خافيا تلك الآثار الجمالية التي يتركها مثل هذا الأسلوب في نفس المتلقي ، وقديما أشار الجاحظ في كتابه البيان والتبيين إلى هذا المعنى ، يقول : " لأنَّ الشيء من غير معدنه أغرب ، وكلّما كان أغرب كان أبعد في الوهم ، وكلّما كان أبعد في الوهم كان أطرف ، وكلّما كان أطرف كان أعجب ، وكلما كان أعجب كان أبدع. " (الجاحظ : 2002 ج01 : 93).

وهذا الأسلوب نراه ماثلا في مختلف أشكال التواصل اللّغوي عبر الشّبكات الاجتماعية عند تناول الموضوعات المتعلقة بعملية التحسيس من مخاطر الفيروس التاجي (كورونا) ، فجوهر العملية هو ذاته مع بعض الفوارق التي تمت الإشارة إليها سابقا كصعوبة عزل العنصر اللّغوي عن باقي العناصر السيميولوجية عند تحليل عملية التواصل على هذه الشبكات الاجتماعية ، " فالملاحظ أن كلّ إرسالية لغوية لا تكتمل إلاّ إذا أضيفت إليها الإيماءة المرافقة لها . فكلّ إيماءة تكشف عن قيمة دلالية ستقود الإرسالية اللّغوية إلى الانزياح عن مدلولها التقريري لكي تندرج ضمن معاني إيحائية لها وقعها وأبعادها الخاصّة." (بنكراد : 2006 : 162).

ولقد أثبتت البحوث المهتمة بتقصي ماهية الخصائص الفنية التي تجعل من منتج إعلامي ما ينتشر بشكل كبير على هذه المنصّات أنّ الانزياح يقع في قلب كلّ رسالة اتصالية فنية ناجحة " والقاعدة الأساسية لتحقيق هذا الانتشار الفيروسي يكون في جودة الانتاج ، الجودة تعني أشكالا عديدة ، قد تكون طرافته أو غرابته ، أو طريقة عرضه ، أو طريقة كتابته ، المهم أنّ الجودة هي أساس الانتشار الفيروسي في الشبكات الاجتماعية بشكل يلائم طبيعة المستخدمين ، ويجعلهم متحمسين لمشاركة المحتوى على أوسع نطاق." [3]

فمثلما تتعدّد أشكال الانزياحات اللّغوية من ظواهر : التكرار ، والإيجاز ، الاستعارات ، الكنايات ، التشبيهات نرى الأمر ذاته ، وإن بأشكال لها هوياتها الخاصة ، في مختلف أنماط التواصل الاجتماعي على النت سواء كانت رسومات كاريكاتورية ، منشورات ، تغريدات .

ولشرح هذا المفهوم نأخذ الأمثلة التوضيحية التالية :

الرسم الكاريكاتوري الأول :

01 [4]

هذا الرسم يشرح لنا كيف كان ينظر (رولان بارت) إلى مختلف الأنظمة السيميولوجية غير اللّغوية ، و التي يمكن إخضاع دراستها لنفس مناهج الدراسات اللّسانية ، فعالم الدّلالات ليس إلاّ عالم اللّغة ؛ وهكذا يمكننا أن نلاحظ أنّ الكاريكاتور السّابق ليس إلاّ استعارات مكنية بنظم دلالية مركبة (لغوية ، وغير لغوية) ضمن إرسالية قصدية موحدة تتضافر خلالها كلّ تلك التشبيهات الجزئية لرسم الدلالة العامة للنّص المرئي :

– فهناك مشبَّه (طبيب) ومشبّه به (جندي) ، ووجه شبه (كلاهما يخوضان حربا) ، وأداة الشبه وهي عبارة (اضرب)+ إشارة اليد + هيئة التأهب. ألغي المشبه به وأبقي على بعض من لوزمه ، وهي نفسها أدوات التشبيه.

– مشبه (حقنة – سلاح الطبيب–) ، مشبه به (مدفع – سلاح الجندي –) ، أداة الشبه (العجلتان ، تماثل ما بين الأنبوبة وهيكل المدفع ، وما بين الإبرة وماسورة المدفع . وجه الشبه (وسائل للقضاء على العدو) . أخفي المشبه به المدفع، وأبقي على بعض من لوازمه : العجلات ، و الشكل العام .

– مشبه (أيقونة فيروس كورونا) ، مشبه به (عدو حقيقي) ، أداة الشبه (الموقف السياقي بإزاء العناصر الأخرى) ، وجه الشبه (يشكلان خطرا على حياة الناس .) وهنا أيضا لا يظهر المشبه به صراحة .

الرسم الكاريكاتوري الثاني :

02 [5]

أمّا في الرّسم الكاريكاتوري رقم (02) فابتداء يمكن ملاحظة أنّ جميع الفئات الاجتماعية بمستوياتها التعليمية المختلفة بما فيها فئة غير المتعلمين يمكنها فهم مضمون هذه الإرسالية البصرية التي تشير إلى بعض الممارسات الخاطئة التي تساهم في انتشار وباء كورونا بين أفراد المجتمع ، ويمكن الوصول إلى هذه الدّلالة من دون حتى أن نقرأ العبارة الموجودة في أعلى الرسم ، إلاّ أنّ أفق تأويل الصّورة بالنسبة لفئة متعلمة، ولها دراية بالأدب يبدو أكثر انفتاحا من خلال دمج الصّورة بإيحائية العنوان الذي يحيل القارئ إلى عوالم رواية غابريال غارسيا ماركيز (الحب في زمن الكوليرا) وما تثيره هذه الدوال اللّغوية من انزياحات تحلق بخيالات القارئ لتمثل أوجه التماثلات والمفارقات بين الموقفين.

ولنتأمل أيضا ظاهرة التكرار الفني الذي طبع كثيرا من المناشير التوجيهية على صفحات التواصل الاجتماعي بغرض إحداث التأثير العاطفي في جمهور المتلقين ، فالتكرار كما هو معروف في الدراسات البلاغية والأسلوبية أسلوب انزياحي بامتياز ، بل هو " قانون من قوانين الفنون ... وقد أدرك النقاد ذلك من القدم ، فاستحسنوا منه ما جاء صاحبا لانفعال النفس وحقق جانبا من حلاوة الجرس ، فكان له من لوني الموسيقى الخارجية والداخلية نصيبه المرموق." (السيد : 1986 : 276).

تقول إحدى المغردات على تويتر :

في هذا الترينذ لن تجد نصائح، ولا أسباب المرض ولا مصدر المرض

أنا أكتب بصوت كل المرضى الذين سبقتهم في الشفاء لأقول لكم :

(رفقًا بالمصابين ..رفقًا بالمصابين .. رفقًا رفقًا بالمصابين).

03-02 ملامسة عواطف المتلقين :

لا شك في أنّ مسألة توظيف العواطف الجياشة ، والأحاسيس الرقيقة تعدّ من أهم الأدوات الفنية في الخطابات التواصلية عموما، وهذا بغرض التأثير في جمهور المخاطبين ، وتوجيه مشاعرهم ووعيهم في الاتجاه الذي يريده المرسل ، والملاحظ أنّ هذه الخصّيصة الفنية قد أخذت حيّزا هاما من مجمل المنتجات التحسيسية من أخطار فيروس الكورونا على شبكات التواصل الاجتماعية ، ومن تلك المناشير التي احتفت بهذا الجانب الفني نرصد بعض النماذج المتمثلة في التغريدات التالية :

مضمون التغريدة الأولى مقطع فيديو قصير لطفل لا يتجاوز ثلاث سنوات يؤشر بإصبعه إلى ناحية في السماء ، وعيناه ترصدان بلهفة كبيرة شيئا ما ، يكتب صاحب التغريدة :

هذا الولد ماتت أمّه بسبب فيروس كورونا ، وقالوا له : أنّها تحوّلت لنجمة في السّماء ، وحينما رأى نجمة بدأ يناديها . قد تكون رسالة بالغة لحالات الفقد التي اجتاحت العالم ، لذلك التزموا بالنصائح وابقوا في البيت حتى لا نفقد عزيزا # مؤثر جدا كما وصلتني#

وعند تحليل التغريدة السابقة نجد أنّه بتضافر مجموعة من العناصر الفنية في هذه التغريدة يتولد لدى القارئ إحساس بالأسى والحزن لما لحق بهذا الطفل من ألم الفراق لأمه التي قضت جراء هذا الفيروس القاتل . وهنا نلاحظ أنّ التعابير اللغوية للتغريدة على الرغم من أنّها كانت مشحونة بأحاسيس أليمة تصور فداحة الموقف إلاّ أنّ تلك التعابير تأخذ طابعا أكثر مأساوية من خلال إسنادها بمقطع الفيديو الذي يصور الطفل على قارعة الطريق ليلا برفقة أخيه ، وهو يقلب عينيه المفجوعتين إلى واحدة من تلك النجوم على أنّها أمّه ، وقد أشار بأصبعه الدقيقة إلى مكان تلك النجمة (الأم) .

أما التغريدة الثانية فيقول صاحبها : # هذه الصّورة لطفل عراقي من الكوفة بالعراق فقد والده ووالدته بسبب مرض (كورونا) صورة مؤثرة جدا كان الله في عونه #.

ونلاحظ في أسفل التغريدة الثانية صورة لطفل يركن وحيدا في زاوية إحدى المستشفيات ، وقد أرسل بصره إلى نقطة ما من الحائط المقابل ، وعلى الرغم من أنّ الطفل قد لا يكون مدركا في تلك اللّحظة لحجم الفاجعة التي سوف يكون مضطرا لتحمل آلامها بعد مضي ساعات عن ذلك الحدث ، إلاّ أنّ المتلقي بوعيه قادر على تقدير هول الفاجعة التي ستحل قريبا بهذا الطفل الصغير حينما يدرك أنه لا مجال لرؤية والديه مرة أخرى.

03– 03 روح الدعابة والفكاهة :

من المعروف في الدّراسات النفسية أنّ روح الدعابة والفكاهة آلية من آليات التنفيس التي يلجأ إليها الأفراد للخروج من ضغوطات وإحباطات الواقع ، كما أنّ هذه الروح المرحة تعتبر شكلا من أشكال التكيف مع معطيات هذا الواقع الصعب من خلال رفع معنويات المتلقين ، وإخراجهم من قوقعة الاكتئاب ، وترقب ما هو أسوأ ، وبملاحظتنا لما يتم نشره من إرساليات تواصلية على منصات التواصل الاجتماعية نقف عند نماذج في غاية الفكاهة تصور تفاعل الناس مع الأوضاع الاجتماعية التي فرضها انتشار وباء كوفيد 19 بما فيها من طرائف ومواقف قد تبدو مضحكة ، ولكنها تصور بفاعلية فنية كبيرة ما أحدثه هذا الوباء في حياة مختلف الفئات الاجتماعية.

ومن أمثلة هذه الإرساليات ما نجده في النماذج التّالية :

01 – صورة لمجموعة من الناس ، وقد أطلقوا أرجلهم للريح بعد سماعهم أنّ كورونا قد وصلت إلى ذلك المكان ، وكأنّ الفيروس وحش مفترس ، أو سيل جارف ، أو حريق يوشك أن تصيب ألسنة لهبه الجميع.

02- صورة بعنوان : (تسريحة كورونا) لفتاة تحاكي بتسريحة شعرها شكل الفيروس التاجي ، وقد أرفقت الصورة بصورة صغيرة في الأسفل لرجل في نوبة ضحك هستيرية .

03- 04 المناشير التحسيسية من خطر كورونا و التوظيف اللّغوي بين العامية والفصحى :

من أبرز الظواهر الفنية للغة التواصل التحسيسية من خطر كوفيد 19 التفاوت اللاّفت في توظيف مختلف المستويات اللغوية ، وبصفة عامة نرى أنّ توظيف الفصحى يطغى على تلك المنشورات ذات الصبغة العلمية الجادة حيث المصطلحات العلمية الدقيقة التي تتعلق بماهية الفيروس ، وكيفية مواجهته ، أو من خلال منشورات التعزية ، والإحصاءات المتعلقة بعدد الإصابات والوفيات الناتجة عن هذا الوباء ، بالإضافة إلى تلك المناشير المتضمنة لآيات قرآنية وأحاديث نبوية للحفاظ على النفس ، والوقاية من انتشار العدوى بين أفراد المجتمع ، في حين نلاحظ أنّ استعمال العامية يكون في الغالب لضمان وصول تلك الإرساليات التحسيسية لأوسع عدد من الناس ، فليس كلّ النّاس قادرين على فهم الفصحى ، أو إدراك المعاني العلمية لتلك المصطلحات الطبية.

الخاتمة :

من خلال البحث في موضوع الخصائص الفنية للغة التواصل التحسيسية من خطر كوفيد 19 على شبكات التواصل الاجتماعية توصل الباحث إلى النتائج التالية :

– أنّ آلية اللغة في مختلف الإرساليات التواصلية تندمج ضمن منظومة تعبيرية متكاملة حيث تمتزج اللّغة مع مختلف الأنظمة السيميولوجية الأخرى مشكلة بذلك هوية تعبيرية خاصة.

– يعدّ الانزياح واحدا من الخصائص الفنية الثابتة في أي إرسالية تواصلية ناجحة.

– تشكّل العاطفة الجياشة جانبا مهما من مضامين الإرساليات التحسيسية لضمان فاعلية أكبر للتأثير في وعي المتلقين لتجنب الممارسات غير الصحية في الأوساط الاجتماعية.

– الوظيفة المحورية لروح الدّعابة في كثير من المناشير التحسيسية بالنظر لقدرتها الكبيرة على نشر الوعي بمخاطر الكورونا من جهة ، والتخفيف من وطأة الضغوط النفسية الناتجة عن الحجر المنزلي ، والخوف من الإصابة بالوباء من جهة ثانية .

– من أهم الخصائص الفنية للغة التواصل عبر المنصات الاجتماعية ذلك التفاوت الحاصل في توظيف مختلف المستويات اللّغوية بما يناسب طبيعة الموقف، وجمهور المتلقين ، فللفصحى سياقاتها التعبيرية ، وللعامية ضروراتها التواصلية.

هوامش البحث :

[1] – السيميائيات ... بين بيرس ودي سوسير ، مقال لعبد الله حمود الفقيه، د ت ، مدونة الرواق الالكترونية : www.elriwak.com

[2] – المرجع السابق.

[3]– مقال : محاضرات "تيد" تشرح لك قوة وتأثير شبكات التواصل ، عماد أبو الفتوح ، الجزيرة نت ، 24-07- 2017. www.aljazeera.net

[4]– كاريكاتور ، فوزي مرسي ، جريدة العرب 23 – 05 - 2020 alarab.co.uk

[5]– كاريكاتور الاتحاد الأسبوعي ، جريدة الاتحاد ، أبو ظبي، الامارات العربية المتحدة ، 11 يوليو 2020. https://www.alittihad.ae/

المصادر والمراجع :

01- رولان بارت ، 1993، درس السيميولوجيا ، تر : عبد السلام بن عبد العالي ، الدار البيضاء ، المغرب ، دار توبقال للنشر ، الطبعة الثالثة.

02- صلاح فضل ، 2007، علم الأسلوب والنظرية البنائية ، القاهرة ، مصر ، دار الكتاب المصري،مج 02، الطبعة الأولى.

03- امبرتو إيكو ، 2010، العلامة تحليل المفهوم وتاريخه ، الدار البيضاء ، المغرب ، المركز الثقافي العربي ، الطبعة الثانية.

04- بيير جيرو ، 1994 ، الأسلوبية ، تر: منذر عياشي، مركز النماء الحضاري ، حلب ، سورية ، الطبعة الثانية.

05- عبد السلام عشير ،2006 ،عندما نتواصل نغير ،مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج ، الدار البيضاء المغرب، افريقيا الشرق .

06- إيريك بويسنس ، 2017، السيميولوجيا والتواصل ، تر : جواد بنيس، القاهرة ، مصر ، رؤية للنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية.

07- سعيد بنكراد ، 2006، سيميائيات الصورة الإشهارية ، الدار البيضاء ، المغرب ، أفريقيا الشرق .

08- أبو عثمان الجاحظ ، 2002، البيان والتبيين ، بيروت لبنان ، دار ومكتبة الهلال ، مج 01.

09- عز الدين علي السيد ، 1986 ، التكرير بين المثير والتأثير ، بيروت ، لبنان ، عالم الكتب ، الطبعة الثانية.

باللغة الأجنبية :

Ferdinand de Saussure,1997 ,Cours De Linguistique générale, Paris, 01 - France ,édition Payot et Rivages.